Arabic Language & Literature
Vol. 17, No. 1, Spring 2021
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
DOI: 10.22059/jal-lq.2020.292408.984

Addressing the Techniques of Grammatical Cohesion and its Implications in Light of Structural Linguistics, (A Textual Study in the Fence Associated with the Resurrection as a Model)

Hossein Bakhtiar Nasrabadi[1], Seyed Reza Soleymanzadeh Najafi[2]*

1. Ph.D. Candidate, Department of Arabic, University of Isfahan, Isfahan, Iran

2. Associate Professor, Department of Arabic, University of Isfahan, Isfahan, Iran

(Received: November 17, 2019; Accepted: May 02, 2020)

Abstract

The resurrection is one of the most important issues that have occupied man's mind and attracted his attention during the centuries. This wall has contributed greatly to the enlightenment of ideas and the construction of the idea of the Ba'ath in its rhetorical methods. The coherence of the text with its manifestations and techniques explicitly helps to highlight the eloquence and aesthetics of the texts in those fences. This research aims to study the techniques of grammatical cohesion and its significance in the selected Quranic Surah's to reveal their effectiveness in communicating the message guaranteed by the Qur'an to the descriptive-analytical approach, using the structural linguistic orientation. Finally, the research concludes that the techniques of grammatical coherence from the combined correlation, commentary, assignment, repetition, parallelism, theoretical and semantic correspondence, conscientious and communicative play, textual attribution, referral and expressions have all helped to achieve the message that the Qur'an intended to convey to the people .Were it not for this cohesion, the text would be naked and the intent of those verses would be lost. The Qur'an has invested these techniques to create a huge structure so that the reader can swim in the vicinity of the Koranic text and hunt the inherent Durras.

Keywords

Grammatical Text, Structural Linguistics, Techniques, Cohesion, Coherence, Fence Associated with the Resurrection.

* **Corresponding Author, Email:** najafi@fgn.ui.ac.ir

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٧، العدد ١، ربيع ٢٠٢١م
صفحة ١٥١- ١٧٦ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

معالجة تقنيات التماسك النحوي ودلالاتها في ضوء اللسانيات البنيوية

(دراسة نصّانيّة في السور المرتبطة بالقيامة نموذجا)

حسين بختيار نصرآبادي[١]، سيدرضا سليمانزاده نجفي[٢]*

١. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران

٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/١١/١٧؛ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٥/٢)

الملخّص

القيامة من أهم القضايا التي شغلت بال الانسان ولفتت انتباهه خلال القرون، ويجب على كل الناس أن يتنبّهوا إلى قضية البعث، لأنّها هي التي تقوم عليها بناء العقيدة بعد الإيمان بوحدانية الله؛ لذلك فإنّ الله في كتابه السماويّ المفعم بالمجوهرات الثمينة الفنية يذكر في بعض سوره أحداث الساعة لانتباه الإنسان عليها والوصول إلى المعرفة العميقة التي تؤدي إلى تقوية الإيمان وخلق التهيؤ النفسي للإنسان حول هذا الحدث العظيم، وهذه السور ساهمت مساهمة فعالة في تنوير الأفكار وتشييد فكرة البعث بأساليبها البلاغية. والتماسك النصي بمظاهره وتقنياته بأنماطه المختلفة يساعد بشكل صريح في تسليط الضوء على بلاغة النصوص وجمالياتها في تلك السور. فيستهدف هذا البحث دراسة تقنيات التماسك النحوي ودلالتها في السور المختارة القرآنية للكشف عن فاعليتها في إبلاغ الرسالة التي تكفّلها القرآن بالمنهج التوصيفي- التحليلي مستعينا بالتوجّه اللساني البنيوي. فخلص البحث أخيرا إلى أنّ تقنيات التماسك النحوي من التلازم المدمج والتعليق والتخصيص والتكرار والتوازي والتقابل التنظيري والدلالي واللعب الضمائري والموصولي والإسناد النصّيّ والإحالة والإعراب كلها تشكل هندسة داخلية متناسة للنص ومن ثمّ التحقيق الرسالة التي كان ينوي القرآن إبلاغها الى الناس. ومن ثم تمنح الرسالة المقصودة مجالا رحبا في التأثير والفاعلية ولولا هذا التماسك لفكك تأثير النص عراه وضاعت مقصدية تلك الآيات. وقد استخدم القرآن هذه التقنيات لتصنع هيكلا ضخما كي يستطيع القارئ أن يسبح في محيط النص القرآني ويصطاد الدرر الكامنة فيه.

الكلمات الرئيسة

التماسك النحوي، اللسانيات البنيوية، تقنيات، السبك، الحبك، السور المرتبطة بالقيامة.

---

* الكاتب المسؤول
Email: najafi@fgn.ui.ac.ir

مقدمة

في الآونة الاخيرة تحول الدرس النحوي من دراسة الجملة إلى البحث عما وراء الجملة من النصوص وقد يبحث عن آليات التماسك النحوي فيها والذي يعرف بنحو النص. والتماسك النصي من اهم القضايا التي طرحت في ساحة اللسانيات الحديثة عامة واللسانيات النصية خاصة، ومعالجة تماسك النص واتصال مفاصله وعراه مما يفتح امام المتلقي بعدا رحيبا جديدا ويوصله إلى التعمق في النص وإدراك إعجاز النص ككل واحد موحد. يبحث عن التماسك النصي في المستويين: المستوى الخارجي والمستوى الداخلي للنص، أمّا المستوى الداخلي في هذه الرؤية فتشمل على الأدوات النصية التي تظهر على البنية السطحية للنص، منها الإحالة والتعليق والتخصيص والتوازي وسائر الأساليب التي تسبح على سطح النص وتقبض تماسكه، أما المستوى الخارجي فيتجلى في التقنيات المفهومية الدلالية التي تؤدي إلى فهم النص مثل السياق والقارئ.

هنالك السور القرآنية التي تحتوي على رسالات مفهومية إرشادية تنذيرية وقد لفتت أنظار المستمعين إليها بآياتها المفعمة بالمجوهرات الثمينة الفنية، خاصة السور المرتبطة بالقيامة بأساليبها الرائعة الفاخرة؛ لأنّ القيامة من أهم ما يواجه الإنسان بها من الموضوعات وشغلت باله طوال القرون. بذلك أن دراسة تقنيات التماسك النحوي وآلياتها في تلك السور والكشف عما وراء الآيات من المفاهيم والدلالات القرآنية تبين ضرورة هذا البحث الذي يدفع المخاطب إلى التفكير في هذه السور.

مهما يكن من أمر، فتقصد هذا البحث إحداث رؤية جديدة إلى النص القرآني، وذلك بدراسة الآليات النصية التي تخلق للنص فضاء دلالية رحبا يستطيع القارئ أن يسبح فيها ويجني الثمار المتنوعة من النص. وأما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التوصيفي-التحليلي، بداية تعرف ظاهرة التماسك النصي وتقنياتها، ثم الخوض في تعرف آلياتها ومدى تأثيرها وفاعليتها في السور المختارة.

أسئلة البحث:

الأسئلة التي تسعي هذه الدراسة الإجابة عنها هي:

- ماهي أبرز تقنيات التماسك النحوي في السور المرتبطة بالقيامة؟

- كيف تستغل هذه السور آليات التماسك النحوي وتجنّدها للوصول من البنية السطحية للنص إلى البنية التحتية أو العميقة؟

خلفية البحث:

تسبق هذه الدراسة دراسات متعددة أهمّها هي:

المقالة المعنونة بـ«الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني» لعبد الحميد بوترعة (المطبوعة في مجلة الأثر سنة ٢٠١٢م) يدرس فيها مفهوم الإحالة بأنواعها وتطبيقها على بعض الآيات. المقالة المعنونة بـ«نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي» لعبدالمهدي هاشم الجراح (المطبوعة في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية سنة ٢٠٠٦م) يشير إلى نحو النص ومفهومه ونشأته ثم يتناول أنواع الاتساق داخل النص. كتاب عنوانه "نحو النص دراسة تطبيقية على سورة النور" لعثمان محمد أحمد أبوصيني (المطبوع في عالم الكتاب الحديث سنة ٢٠١٥م) تناول فيه نحو الجملة ونحو النص ثم أشار إلى الجمل التي لا محل لها من الإعراب في سورة النور. ورسالة جامعية للطالبتين سمية حديد ومريم بوشمال، بعنوان «الانسجام الدلالي في سورة مريم». وقد درستا فيه مظاهر الانسجام الدلالي في سورة مريم وبينتا أبرز العوامل التي تسبب إلى تحقيق التماسك النصي وانسجامه. وهناك أطروحة جامعية المعنونة بـ"التماسك النصي" لعيسى جواد، حيث درست شتى التماسكات النصية على المستويات مختلفة كالمستوى النحوي والمعجمي والدلالي، ثم طبقتها على نهج البلاغة.

أمّا في هذه الدراسة التي نحن بصددها فنبيّن التقنيات التي تساعد في التماسك النصي من خلال التحليل اللساني للآيات القرآنية المرتبطة بالسور القيامة حتى نبيّن كيفية الوصول من المبنى إلى المعنى ومدى أثره في التماسك النصي وهذا هو الذي نحن بصدده في هذا البحث.

الإطار النظري

قبل الولوج إلى البحث لابدّ من تعريف المصطلحات التي تساعدنا في فهم الموضوع وهي:

النص[1]:

يقصد بهذا المصطلح مجموعة من الجمل المترابطة بشكل ما، ويمكن تعريف النص بعبارة أدق وأقرب إلى علم تحليل الخطاب بأنه: «فعل لغوي يتسم بالسبك، والحبك[2] والقصد[3] والقبول[4]

1. Text
2. Coherence
3. Intentionality
4. Acceptability

ورعاية الموقف[1] والتناص[2] والإعلامية[3]» (تمام حسان، ١٩٩٨: ١٠٣). فعنصرا الاتساق الذي ترجمه تمام حسان بالسبك، والانسجام الذي ترجمه بالالتحام أو الحبك شرطان أساسيان في النص، فلا يمكن اعتبار مجموعة من الجمل نصا إلا بتوفرهما. اعتبره الأزهر الزناد نسيجا وعرفه بقوله: «النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض» (الأزهر الزناد، ١٩٩٣: ١٢).

التماسك النحوي:

تعدّ لسانيات النص من أحدث الاتجاهات اللسانية التي تتعامل مع النص في كليته، فبفضل الدراسات والجهود النصية فسّرت ظواهر لغوية هامة منها: التماسك النحوي للنص؛ ولمّا كانت المهمة الأساسية التي تسعى إلى تحقيقها لسانيات النص هي بيان كيفيات التماسك وأشكاله بين الأجزاء المكونة للنص، كان لزاما أن نحدّد المفهوم العام للتماسك والمفهوم الخاص له.

إنّ الصفة الجوهرية في النص ــ في عرف لسانيات النص ــ هي صفة الاستمرارية ومفادها ذلك الترابط والتلاحم بين الأجزاء التي تكوّن النص؛ وفي الحقيقة يعدّ مصطلح التماسك مصطلحا إشكاليًا بسبب تعدّد المفردات العربية المستعملة للدلالة عليه، فهو مترجم في الأصل عن الكلمة (cohesion) إلا أن مقابله في الدراسات النصية العربية متعدد وذلك على النحو الآتي: الاتساق، السبك، التضام، الترابط، الالتئام والربط اللفظي. لذا شاهد هذا المصطلح تذبذبا لفظيا. ويمكن أن نعتبر التماسك النحوي المصطلح الدال على ما يقصده هذا البحث، وهو المحور الأساس الذي يصبح بؤرة مركزية في هذا المجال. ومصطلح التماسك الدلالي يدرس على صعيد مستويين: المستوى الداخلي والمستوى الخارجي. والقصد من المستوى الداخلي هو دراسة العلاقات المتواجدة في البنية السطحية للنص كالإحالات والتخصيص واللعب الضمائري والموصولي، والمستوى الخارجي يرتكز على الترابطات النصية الحاصلة من السياق النصي ودور القارئ بحيث يضمن للنص وحدته الدلالية.

من هذا المنطلق، نجد التماسك يرمي إلى غاية بعيدة و«هي توظيف الآليات النحوية في الربط بين أجزاء النص، ومن ثمّ فهم المعنى عبر رؤية متماسكية لا تقتصر في تحليلها على الجملة. وبهذا يتضمّن في بعده أهميّة الدور الذي تقوم به قواعد النحو في تشكيل المعنى،

1. Situationally
2. Intertextuality
3. Informatively

وفي جانب آخر يمكن اعتباره ميزة خاصة، تميّز بين مفهوم النص ومفهوم الجملة، ويمكن توضيح تجليّاته في إحداث ترابط نصيّ في الكيفيّة التي تشتغل بها آليّاته من حيث توزيع مفردات المعجم ضمن قوانين النحو» (بخولة، ٢٠١٦: ٢٤).

ولتحقيق التماسك النحوي تقنيات هامّة منها الإحالة، والتوازي، والحذف والاستبدال والتكرار. ويُبنى التماسك النصي من عاملين أساسين هما السبك والحبك. السبك هو التماسك الظاهري على سطح النص الذي يسبّب على هندسة النص عبر الأدوات النصيّة ويجعله مترابطا متواشجا، أمّا الحبك فهو التماسك الدلالي في بنية التحتية للنص الذي يكشف الستار عن العلاقات الدلاليّة بين الكلمات والجمل في النص ويخلق فضاءً رحيبا موسّعا يمكن من خلاله فهم رسالة النص ومقصديته.

للتماسك النحوي عناصر وتقنيات تسهم إسهاما كبيراً في خلق النص المتواشج وظهور عناصرها على خشبة النص نخلصها في ما يلي:

- التعليق

المراد من التعليق هنا الربط بين المُتعلِّق والمتعلَّق أو علاقة الجارّ والمجرور بالمتعلق وتسمى هذه التقنية بالتعليق. التعلق من مباحث الجار والمجرور والظرف في كتب النحو. والمقصود بالتعلق هو الارتباط، بمعنى أن يتعلق لفظ بلفظ في المعنى. فمثلاً: لو قلت: في الاختبار. وسكت، فلن تفهم شيئا محدداً، فإذا قلت: نجحت في الاختبار، اتضح لك المراد، ولم يتضح المراد بالجار والمجرور (في الاختبار)، وإنما اتضح لك بعد أن ذكرت الفعل الذي تعلق به هذا الجار والمجرور. ولذلك فإن النحويين يقولون إن الجار والمجرور والظرف لابد لهما من التعلق بالفعل وهذا هو الأصل أو ما فيه معنى الفعل كاسم الفاعل والمفعول ونحوها. قال ابن هشام: «لا بد من تعلقهما بالفعل أو ما يشبهه، أو ما أول بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه، فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجود قدر» (ابن هشام، ١٣٨٧: ٩٥).

- التضامّ

المراد من التضامّ هو «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك» (الخطابي، ٢٠٠٦: ٢٥). ومن مظاهره الأدوات التي تختص بمباشرة الإسم أو الفعل أي تخص أحدهما دون الآخر، كدخول إنّ وأخواتها على الأسماء ودخول الأدوات الجازمة والناصبة على الفعل. وهو أحد آليات التماسك النحوي يعنى بأهميّة الحروف والأدوات المختصّة بالاسم والفعل، وهو يؤكد وظيفتها في قوة المعني والارتباط.

- التلازم

يقول عبد القاهر: «وجملةُ الأمر أنّا لا نُوجِب الفصاحةَ للفظةٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نُوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلّقًا معناها بمعنى ما يليها» (الجرجاني، ٢٠٠٤: ٤٠٢). فيحدثنا عن ضم لفظة إلى أخرى، ويشير بهذا إلى مرادنا بالتلازم. وتمتد فاعلية التلازم لتكشف عن بعدٍ آخر في نظام الجملة، ليس فقط في طريقة توزيع المفردات بداخلها، وإنما يقيس حاجة المفردة إلى مفردات أخرى، تتراص معها لتشكّل هذا البناء المحكم، المسمى بالجملة، بحيث تصبح مؤلّفة من وحدات كاملة المعنى. والتلازم على قسمين: التلازم المدمج والتلازم المنفصل. «يتّضح التلازم المدمج في شدة الارتباط بين العنصرين المتلازمين بشكل ملتصق، فلا يقعان منفصلين في التركيب ولا يوجد فاصل بينهما، حتى إن المصطلح اللغوي الذي يطلق عليهما، مأخوذ من مادة لغوية واحدة ويتحقق هذا من خلال خمسة أشياء: الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه، والفعل والفاعل، والصفة والموصوف، والصلة والموصول» (نحلة، ١٩٨٨م: ١١٥). وما يميز هذه المتلازمات أنها بمنزلة شيءٍ واحد. قد يجوز انفصال المتلازمين، «فيتباعدان في الشكل التركيبي، مع عدم التأثير في تحقق علاقة التلازم بينهما؛ للارتباط النحوي والدلالي بينهما، ويتحقق في علاقة الفاعل بمفعوله، وعلاقة المبتدأ بخبره وغيرها، فهي وإن كانت علاقة تلازمية، لكنها انفصالية، ليست مدمجة، وقد يكون هناك فاصل بينهما» (نحلة، ١٩٨٨: ١٠١).

- الإسناد النُّصي

إن العلاقة الإسنادية هي الأساس الذي تُبنى عليه الجمل، وتسمى في هذه الحالة (الإسناد الجُملي). وهذه العلاقة النحوية تجمع بين المسند إليه (المبتدأ-الفاعل)، والمسند (الخبر-الفعل)، وقد عدّها مهدي المخزومي: «عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه» (المخزومي، ١٩٦٤: ٣١) . ومن ثم هي الوسيلة التي تنقل ما يجول في ذهن المتكلم إلى ذهن المتلقي، فتكون وحدة لغوية متماسكة، تُمثل بؤرة النّص، سواء أكانت هذه الوحدة الإسنادية اسمية أم فعلية، وهذا يؤكد أن التضام لا يقتصر على اللفظ، وإنما أساسه الترابط المعنوي. وتتجاوز هذه العلاقة الإسنادية مستوي الجمل عبر كثير من التراكيب المتوالية على امتداد النّص؛ لتحقيق (الإسناد النّصي)، والتأكيد على علاقاته الترابطية الإسنادية.

- التقابل

هو الجمع بين الشيء وضده، فقد عرفه أبو هلال العسكري هو «الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد» (العسكري، ١٩٧٩: ٣١٦). فتترابط الكلمات مع بعضها عن طريق أشكال التقابل بأنواعها المختلفة. وتظهر أهمية التقابل في تضامه أجزاء الكلام، وإقامة علاقات دلالية داخل السياق النّصي أو خارجه، ما يؤدي إلى التلازم الذهني بين المتكلم والمتلقي، يؤكد ذلك الزركشيِ بقوله: «من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والنظيرين، والضدين» (الزركشي، ١٩٥٧: ج١/٣٥). وبذا فهو يسهم في عملية التماسك النحوي.

- التكرار

هو أحد وسائل التماسك، وهو «إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف؛ وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك بين عناصر النّص المتباعدة» (الفقي، ٢٠٠٠: ج٢/٢٠). وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النّص حتى آخره، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النّص بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النّصي الأخرى.

فضلا عن ذلك يعد التكرار ضربا من ضروب الإحالة إلى السابق؛ إذ يتكرر لفظان مرجعهما واحد، «بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار» (عبدالمجيد، ١٩٩٨: ٧٩). فيعطي «منتج النّص القدرة على خلقٍ صور لغوية جديدة» (دي بوجراند، ١٩٩٨: ٣٠٦). ولا يقتصر أمره في ذلك على التماسك، وإنما يمثل دعما للربط الدلالي.

- الإعراب

الإعراب من أبرز سمات اللغة العربية وهو الذي يمتازها عن سائر اللغات. يمثّل الإعراب محورا وركزة أساسية للإنباء عن تحقق نوعٍ من أنواع التلازم بين طرفين (المسند والمسند إليه)، أحدهما المؤثر والآخر القابل للتأثير، أو حسب اصطلاح النحاة العامل والمعمول، ففي تفكير معظمهم أن الكلمة المعربة لازمت عاملا أثّر فيها، وجلب لها العلامة الإعرابية. والإعراب هو الإبانة عن المعنى والظهور والكشف على حد قول ابن جني؛ إذن ليست وظيفة العلامة الإعرابية تزويد الأداء بسمة من العذوبة والجمال فحسب، فإنّ العلامة الإعرابية لها

مهمة إفهامية ومهمّة إيقاعية بجانب مهمتها النصية وهي الانسجام والتماسك في النص. وللكلمة عندما تكون معزولة عن الجملة معنى قاموسيا، وهو معنى لغويٌّ. وإذا انضمت الكلمة إلى غيرها من الكلمات في التركيب كان لها معنى دلالي وثانوي يسميها المحدثون معنى المعنى، وتحَقق في الكلمة الإعراب الفعلي، قال ابن يعيش: «... الاسم إذا كان وحده مفردا من غير ضميمة إليه، لم يستحق الإعراب؛ لأن الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعاني، فإذا كان وحده، كان كصوت تصوت به، فإن ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة، نحو قولك: (زيدٌ منطلقٌ، وقامَ بكرٌ) فحينئذ يستحق الإعراب لإخبارك عنه» (ابن يعيش، ٢٠٠١: ج١/١٤٩). فالإعراب والتركيب في اللغة العربية شيئان متلازمان لا يمكن الانفصال بينهما.

- الإحالة

ليتحقق الاتساق في نص ما، لا بد من ترابط أجزائه بعضها ببعض، ويتم ذلك بوجود علاقة بين جزء سابق بجزء لاحق من النص، وثمة وسائل ربط متعددة، حصرها الدارسون في: « أسماء الإشارة: هذا؛ الألفاظ الدالة على زمن: الآن؛ الألفاظ الدالة على مكان: هنا؛ الضمائر: أنا؛ أدوات المقارنة كأسماء التفضيل: أكبر، أو التشبيه لما فيه من مقارنة بين شيئين، الربط بالأداة: كحروف العطف، التعاقب على أساس السببية كالشرط، التكرار، الاستبدال، الحذف» (خطابي، ٢٠٠٦: ٥).

وقد استعمل الباحثان هاليداي ورقية حسن مصطلح الإحالة استعمالاً خاصا «وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابد من العودة إلى ما تُشير إليه من أجل تأويلها، و... تمتلك كل لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، الإحالة علاقة دلالية ومن ثم فهي لا تخضع لقيود نحويةّ إلا أنها تخضع لقيد دلالي» (خطابي، ٢٠٠٦: ١٧)؛ ولذا تعد من أهم وسائل الاتساق الحالية، كونها لا تقتصر على الربط السطحي أو التركيبيّ وإنما الغالب على عملها الربط الدلالي. وتعرف الإحالة بأنها «علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق/ لاحق» (أحمد المتوكل، ٢٠١٠: ٧٣). فالإحالة النصية نوعان: إحالة على مذكور سابق (الإحالة القبلية)، وإحالة على مذكور لاحق (الإحالة البعدية)، أما الأولى فهي أن يرتبط عنصر من النص بعنصر سابق عنه، كارتباط ضمير الغائب من (لوقعتها) بـ(الواقعة) من قوله تعالى: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾

(الواقعة/١-٢). وأما الثانية فنحو إحالة ضمير المفرد الغائب من (هو اللّه أحدٌ) على (اللّه) في قولنا: «قُل هو اللّهُ أحدٌ». ونستطيع أن نلخّص أدوات التماسك النصي في الترسيمة التالية:

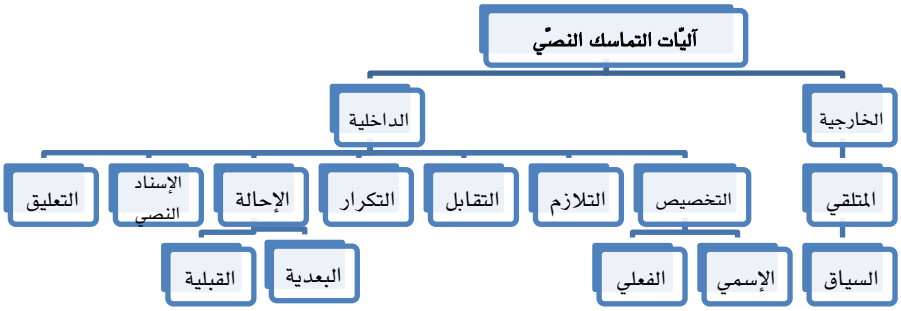

التماسك النحوي وتقنياته في السور المرتبطة بالقيامة

السور المرتبطة بالقيامة بأساليبها الرائعة مفعّمة بالمجوهرات الثمينة الفنية وقد تلتفت الأنظار بجرسها الموسيقائي وترشد من يستهدي إلى الصراط الحق فإذا بالناظر ينظر إلى آياتها وكأنّها وحدة واحدة متشابكة متراصّة، فهنالك تأتي تقنيات التماسك النحوي تتكاتف و تضع يداً بيدٍ وتعطي الفكرة التي سعت الآيات وراء تحقيقها، وليست هذه الآيات والسور مفككة العرى، بل تشكل رسالة ضخمة في إبلاغ الرسالة التي تقصدها بشكل بارز صريح لا نكران لها. ويتجلّى دور التماسك النحوي في إبلاغ فكرة الآيات ومقصديّتها، وتقنيات التماسك وآليّاتها تنعكس على صفحة السور والآيات المرتبطة بالقيامة من دون أن تختلّ هذه التقنيات عملية التواصل اللغوي.

دراسة تقنيات التماسك النحوي ومدى فاعليّتها في سور النبأ والواقعة والتكوير والقيامة والمعارج

إنّ تعلّق الجار والمجرور بالمتعلَّق يستوعب كمّية ملحوظة من الآيات، فالتعليق يملأ الفضاءات النصيّة بين الآيات. ففي الآيات الأولى من سورة النبأ قال اللّه تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ (النبأ/١-٣). فالسورة المبدوءة بالجار والمجرور وهذه الابتداء تدلّ على أهمّيّة الشيء المسئول عنه لا السائلين، لأنّ هذا السؤال من أهمّ الأسئلة التي يواجهها الأنسان، وتكرار هذا الجارّ في الآية اللاحقة يتأكد من أهمية الخبر العظيم ولاشك أن الخبر هو وقوع الحادثة العظيمة وهي القيامة. يقول ابن عاشور: «افتتاح الكلام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم افتتاح تشويق ثم تهويل لما سيذكره بعده، فهو من الفواتح

البديعة لما فيه من أسلوب عزيز غير مألوف ومن تشويق بطريقة الإجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن» (ابن عاشور، ١٤٢٠: ج٦/٣٠) ثمّ يشير في الآية الثالثة إلى هذا النبأ بإحالة الضمير (هـ) في (فيه)، والمتعلّق في الآية الأولى هو الفعل (يَتَسائلون) وفي الثانية الفعل المحذوف (يتسائلون) الذي دل عليه المذكور السابق ونستطيع أن نعتبر الحذف هنا نوعا من الإحالة إلى السابق بدرجة الصفر أي الإحالة الصفرية إذ لا أثر من المحذوف في الثانية، والمتعلق في الآية الثالثة هو لفظ (مختلفون) اللاحق الذكر من الجار والمجرور. إضافة على هذا، الضمير في (فيه) يحيل إلى السابق أي (النبأ)، وضمير (واو) في الفعل يحيل إلى المنكرين ليوم البعث وهي الإحالة الخارجية تدلّ عليها السياق المقاليّ وبهذا يصبح النص متشابكا متناسقا ويتكوّن من التعليق والإحالة نوعاً من التبئير الذي يتضخّم النص ويحقق نصية السورة. إذن جنّدت السورة التعليق بالجار والمجرور ومقارنته بأداة الاستفهام وتولّدت منها فضاء خاصّا للولوج إلى صلب الموضوع.

ويستمرّ التعالق النّصي بتكرار الآية في الوحدة التالية «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» لأنّها تحتاج إلى تأكيد أقوى في ذلك السّياق، فقد كان معرض الكلام هو التعريف بالفئة المنكرة لوقوع الحدث العظيم، ما أدّى إلى إيصال المعنى متّسقا في ذهن القارئ مستعينة في تضامّها بحرف العطف "ثمّ" بغية إيصال المتلقّي إلى المعرفة الحقيقية بهذه الفئة، ما يشدّ من عمليّة التواصل بينها، لانسجام الكلام مبنى ومعنى في ذهن المتلقي ومن ثمّ إصغاؤه لما يقول.

ثمّ يبدأ بتقرير لهذه الفئة في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا**﴾ (النبأ/٦-١٧). فيتحول الفضاء الخارجي للنص ذريعة للولوج إلى قضيّة التقرير من الجاحدين ليوم البعث. فالبنية التركيبية هنا لا تحمل معنى الإخبار فحسب، بل تفيد التقرير عن المنكرين بدخول همزة الاستفهام الإنكاري وتبث معاني الإقناع والسكوت، التي تشبع الغاية المرجوة ، فالله هو الذي جعل الأرض مهدا وجعل فيها رواسي لتثبت، والليل والنهار لهدوء البشر ولتبتغي من فضل الله وكل ما جعله هي من أنعم الله ليشكر الإنسان خالقه ولن يطغى أمامه.

والمقام النصي هو مقام المنكرين ليوم البعث ولهذا نشاهد تأكيد الكلام بتكرار فعل "جعلنا" فالتواتر هنا تواتر تفسيري، حيث تكرر المؤشر الفعلي "جعل" خمس مرات وهذا

التوظيف التكراري سمة مستساغة في النص وتؤدي إلى التناغم والرتابة ما ينتج نهائيا تماسكا في البنية السطحية للنص.

هنا التكرار الضمائري التي تنعكس صورته على التراكيب وتوزّع في أحشاء النص توزيعا انتشاريا. والضمائر الموظّفة هي الضمائر الخارجية أي هي ضمائر التكلم في (نجعل، خلقنا، جلعنا، بنينا، أنزلنا، نخرج). ولم تكن هذه الضمائر كومة مكّثفة، بل انتشرت على سطح النص. وكل هذه التقنيات تدعم الدلالة المركزية التي ابتدأ بها الكلام وهو الله تعالى وتولّد تماسكا فاعلا. وبجنب هذه الضمائر نرى كمّية ملحوظة من ضمائر الخطاب (كم) التي تشكّل نوعا من الالتفات بين التكلم والخطاب، وهذا الالتفات تسبّب من تتابع النص وانتباه القارئ إليه وتضفي ظلالا من التناسق والتآلف، وتكرار أدوات الربط ولاسيّما المؤشر الحرفي "و" تكرر دون أن تشوه النص؛ إذ يخلق شبكة دلالية متلاحقة يمكن أن تسمّى بالشبكة الدلالية العنكبوتية.

وهناك تكرار جميل يتجلّى في المؤشرات الفعلية وهو التكرار الزمني الصيغي في هذه الأفعال؛ إذ الأفعال تتراوح بين الماضي والمضارع ويدلّ الماضي على الحتمية والمضارع على الاستمرار والتجدد، لذا تساؤل المنكرين واختلافهم في ذلك الحدث يكون مستمرا قد يدل عليه المضارع والأفعال المنسوبة إلى الله من الخلق والبناء والجعل تكون ماضوية لحتمية وقوعها، وهذه الأفعال تحرّك رغبة المخاطب على استمرار العملية التواصلية وتضخ فاعلية النص وتثير ما في النفس من الثورة العاطفية فيقدح إثره زناد الحركة والوثبة. وليست هذه ترادفات معجمية، بل هي ترادفات تداولية تسبب تضامّ الآيات لتبوح بالمقصدية التي توجهت إليها السورة.

يلتفت البحث عدسته حول الإسناد النصي وفيه يتقدّم المسند هو "الفعل" على المسند إليه هو "الفاعل"، لقصد السبك اللفظي، وهذا التقديم لا يُعطي الفعل التقدم على الاسم؛ لأن وجود الاسم ثابت ومستقر في الذهن قبل وجود فعله؛ لذا لا يستطيع الفعل الاستغناء عن اسمه ومن ثمّ لا يستطيع الاسم الاستغناء عنه كذلك في أداء معنى عام وفي هذا يقول البطليوسي: «الفعل والفاعل كالشيء الواحد» (البطليوسي، ٢٠٠٨: ٩٥). لقد مثّل المسند في فعل (نجعل) الموضوع الأساسي في النص "البؤرة النصية"؛ لوجوده المباشر في الخطاب، فهو متعلق بالله خارج النص، ومنه انطلق مسند إليه المتعددة (نحن، نا، نا، نا) وكل هذه مسندات اليه المتضامّة مع المسند، لتلازمها معه؛ إذ لا يستطع الاستغناء عنه، ومن ثمّ عدم

استغناء الثاني عن الأول في أداء المعنى أدّى إلى عدم استغناء الأول عن الثاني ولا يستقيم المعنى المراد بمجرد قول (نجعل).

والتلازم المدمج بين الصفة والموصوف في هذه الآيات جلية، لأن النعت والمنعوت كالاسم الواحد ويؤكد الجرجاني شدة تعالقهما بقوله: «أنّ الصفة هي الموصوف في المعنى» (الجرجاني، ١٩٨٢: ج٢/٩٠٠).

وبعد التقرير عن الجاحدين يشير إلى وقوع القيامة: إنّ يوم الفصل كان ميقاتا، ويؤكد الكلام بـ(إنّ) لدفع الشك والانكار، ثم تشير الآيات إلى أحداث هذا اليوم من النفخ في الصور وانفتاح السماء وتسيير الأرض وقيام جهنم، ثمّ تقسم الناس الى صنفين: الطاغين والمتقين. وهناك تقابل معنوي لطيف بين هذين الصنفين بحيث يجعل النص متلاصقا متماسكا ما بعده تماسك. وكثرة استعمال العطف بالمؤشر الحرفي (و) لا يشكل عبثية لغوية، بل يمنح للقارئ فرصة لإدراك مدى ترابط أجزاء النص، وهو خيط تواصليٌّ يربط مفاصل النص بعضها ببعض وتكثيف النص بهذه التقنية يدل على اللا زمنية ذلك اليوم؛ إذ (الواو) يدل على الترتيب دون الزمن.

وثمة تقابل تنظيري، لأنّ العناصر المتناظرة البيئية قد اصطفّت في النص جنبا بجنبٍ والسماء والأرض والجبال والليل والنهار كلها عناصر متناظرة ولا يولد بها تقابل، إلا بعد أن تنصبّ في أجواء خاصة ولاشك أنها تعود إلى بؤرة مركزية هو "اللّه" وهذا التقابل التنظيري يتكاتف لتشكيل النص المتناغم بحيث يسهل فهمه للمتلقي، إضافة على هذا «إنّ العملية المادية في هذا الآيات تقرب المعنى إلى ذهن القارئ وتمكّنه من فهم المعنى» (عزيزخاني وآخرون، ١٤٤٠: ٥٨).

لقد اتكأت السورة في النص المتجلّي على أزواج الكلمات المتضادة لعقد المقارنة بين الطاغين والمتقين، فنسجت هذا التقابل في سياق وصفها الطاغين، مقابل المتقين؛ وها هي حال الطاغين: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلطَّاغِينَ مَآبًا، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا، جَزَاءً وِفَاقًا، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**﴾ (النبأ: ٢١-٣٠). ومقابله حال المتقين: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَكَأْسًا دِهَاقًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا**﴾ (النبأ/٣١-٣٦). حيث يولّد بين الصنفين من الناس نوعا من التقابل

الدلالي المكثّف، وهذا التقابل والمقارنة يمنحان النص تماسكا أسلوبيا رائعا مقترنا بالوحدة الموضوعية، يتمّ ذلك عبر توظيف تقنيات أهمها التلازم المدمج الوصفي والرابط العطفي (واو) والتقابل الجملي التكوّني؛ إذ الجمل الإسمية تقابل الجمل الإسمية ، والجمل الفعلية تقابلها الجمل الفعلية.

يركز البحث نظره إلى التخصيص، والمراد من التخصيص هو الأدوات المختصة بالاسم والفعل؛ ومن الأدوات المختصة بالاسم هي المؤشر الإسمي "إنّ" وقد وقعت في صدر النص نحو: «إنّ جهنم كانت مرصادا»، «إنّ للمتقين مفازا»، وهذا المؤشر يتوزع توزيعا انتشاريا في البنية السطحية للنص ويسبب من تماسك النص القرآني، إذ السياق يتطلب التأكيد؛ لأنّ المقام هو مقام الإنكار من قبل الجاحدين. والمؤشر الاسمي "كان" أصبح نقطة انطلاق التخصيص في بداية هذه الفقرة. والأصل «كانت جهنمُ مرصادا». المؤشر الفعلي "كان" ينطوي على حالتي التمام والنقصان في هذه الوحدة، فإذا نعتبره تام يثبت من خلاله مراقبة جهنم والوحدات المتتالية تصبح تفسيرا لـ"كان: تامّة، وإذا نعتبره ناقصا يتحقق الترابط النصي عبر تكرار المتعلقات الموجودة بعده: كانت مرصادا- كانت مآبا.

وهذا التقابل الدلالي نشاهده في سورة الواقعة، إذ يقسم الناس إلى ثلاثة أصناف (السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال) حيث تبدأ القول بـ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ، عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ، مُتّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ، يطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، بِأكوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا ينْزِفُونَ، وَفَكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كامْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمكنُونِ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يعْمَلُونَ، لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا، إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا**﴾ (الواقعة/١٠-٢٦). في هذه الوحدة تصف الآيات ميزات السابقين الذين يسبقون في إيمان بالله وهم فريق يسبق على الآخرين بفضل تقدمهم ولهذا نشاهدهم في صدر السورة، ثمّ أصحاب اليمين الذين يشاهدون أعمالهم بيدهم اليمنى وفي النهاية تشير الآيات إلى أصحاب الشمال.

ونرى في هذه السورة نوعا رائعا من التصميم الداخلي؛ إذ يقسم الناس إلى أصحاب الميمنة ثم أصحاب المشئمة والسابقون، ولمّا يقصد تشريح الفئات الثلاث، يبدأ بالفئة السابقة في الإيمان ثم أصحاب اليمين وبعده أصحاب الشمال، وفي نهاية السورة يكرر هذا التقسيم فيقول: ﴿**فأمّا إن كانَ من المُقرَّبين، فَرَوحٌ وريحانٌ وجنّتُ نَعِيمٍ، فَأَمَّا إنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليّمِينَ،**

فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (الواقعة/٨٨-٩٣). وهذا التصميم الداخلي للنص يسبّب إلى استمرار عملية التواصل في ذهن القارئ ويساعده في اتصال أجزاء النص ولا شك أن هذه العملية تلقي في نفسية المتلقي عاطفة، قوية، جياشة لما فيها من مفاجأة تركيبية.

والتلازم المدمج بين الصلة والموصول بازر في هذه الوحدة وهنا موصول عام يقوم بوظيفة ثنائية: الأولى تحقق الترابط عبر الوحدات السابقة بالوحدات اللاحقة، والثانية هي تسدّ ما يحتاج إليه يتخيّرون، فهو مفعولٌ به. وقد تكرر هذه التقنية ثلاث مرات في هذه الوحدة وتنسج نسيجا مترابطا غير ممزق. إضافة على تلازم الصفة والموصوف وقد انتشر على سطح النص انتشاراً واسعاً يساعد على تماسك النص، الذي مازال يحقق أغراضا نفسية، فيكتسي النص ثوباً جميلاً.

والتكرار الاشتقاقي في صدر السورة بين ألفاظ (وقعت، واقعة، وقعتها)والجرس المنبعث من تركيب حروف القاف والعين خلق أجواء مميزة، ويشكّل رسالة ضخمة لا انفصام لعراها، ويشد القارئ بحيث يلتفت إلى الآيات دون إرهاق ملل وتشريد بال، يسبب إلى تجسيد الأهوال والأحداث في ذهنه ويساعده في فهم البنية الدلالية للآيات.

وهنا تقابل دلالي لطيف بين إصحاب اليمين والشمال حيث يقول في شأن أصحاب اليمين: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**﴾ (الواقعة/٢٧-٣٤). وفي أصحاب الشمال يقول: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ**﴾ (الواقعة/٤١-٤٦).

لقد جمع المتكلم بين صورتين متضادتين من الناس في هذه السورة، وأصحاب اليمين ما يقابله أصحاب الشمال وهذا التقابل المفهومي يطفح على سطح النص ويتولد منه نوع من التماسك الدلالي بين الصورتين، فيستخدم القرآن طاقة التقابل للتعبير عن مشاهد القيامة وهذا يجعل المتلقي أكثر إيقاظا ونشاطا للمتابعة، ويكشف النص عن التعالق الدلالي في السياق، الناتج من علاقة التضاد في البنية العميقة في المحيط النصي، ولاسيما وقد تداخل مع الصورة البيانية التي يلجأ إليها المتكلم لتعميق الدلالة النصية. نشاهد التقابل الدلالي في الخطاطة التالية:

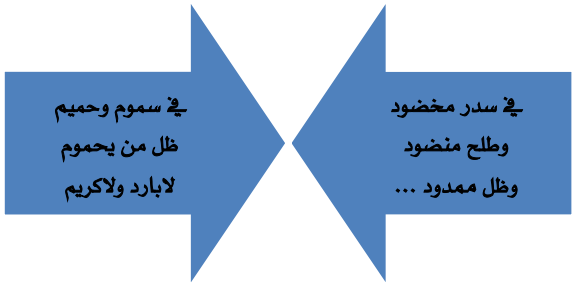

من أبرز تقنيات التماسك في هذه الوحدة هي توظيف "الواو" وليس توارد الواو تواردا عشوائيا ليملّ القارئ، بل تتنوّع أساليب توظيف الواو، فتعطف الجملة على الجملة وتارةً تعطف المفرد على المفرد وتارة أخرى تعطف المفرد على الجملة. وما يلفت الأنظار هو التلازم الوصفي في هذه الوحد ة بحيث تتكاثف بكم هائل لتحقيق نصية النص، ومن أهم التقنيات الواردة هي التوازي النحوي بين الآيات في سدر مخضود، وطلح منضود الخ حيث نشاهد التوازي على نمط (و + الصفة + الموصوف) مكررا على سطح بنية النص.

ويستمرّ التعالق النصي في الآيات اللاحقة وللعب الضمائري فيها وانتشاره على سطح النص يساعد المتلقي على فهم النص حيث يقول: ﴿**نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ، نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**﴾ (الواقعة/٥٧-٦٥). التغيير الضمائري أي التفات من التكلم إلى الخطاب في هذه الوحدة يزيد من قوة بلاغة النص ويسبب انتباه القارئ إليها والمراد من هذه الوحدة كسابقها في سورة النبأ هو التقرير من الناس ولهذا نرى دور الاستفهام الإنكاري في وحدة النص لا نكران له، فله مساهمة فعالة في تشغيل هذا الدور. ولا ننكر دور التلازم المدمج بين الفعل والفاعل والصفة والموصوف والمضاف والمضاف إليه في إنشاء الترابط بين الآيات. وما يشد انتباه المتلقي هو دور الإعراب وعلاماته في هذه الآيات؛ إذ نرى نوعا من الإحالة إلى السابق في الآيات. إذ يلعب الإعراب دوراً هامّا في الإحالة القبلية (السابقة)، وإذا رأينا كلمة منصوبة أو مجرورة في النص، وكان التركيب على ترتيبه الأصلي، فإن ذلك يعني وجود كلمة مرفوعة قبلهما يرجع الإعراب إليها؛ لأن الرفع أعلى وجوه الإعراب. قال الرضي في شرحه على الكافية: «من سرّ لغتنا

العربيـة جعـل الرفـع الـذي هـو أقـوى الحركـات للعمـد وهـي ثلاثـة: الفاعـل والمبتـدأ والخـبر وجعـل النصـب للفضـلات» (الرضـي، ٢٠٠٠: ج٤٩/١). «والنصـب والجـر لا يوجـدان حـتى يتقـدم الرفـع، كقولـك: ضـرب زيـد عمـرا، ومـررت بزيـد» (الحريـري، ٢٠٠٢: ٨٠). فالمنصـوب والمجـرور ترشـد القـارئ إلى وجـود مرفـوع قبلـه لأنّ في اللغـة العربيـة لا يمكـن وجـود منصـوب إلا بعـد مرفـوع، وبـذلك يعتـبر المنصـوب والمجـرور وسـيلتين مـن وسـائل الإحالـة القبليـة. ولهـذا نـرى شبكات دلالية من الإحالات القبلية في محيط النص، لما في الاعراب من الإبانة والتسهيل كما يميز بين أجزاء الجملة من الفاعل والمفعول والصفة والمضاف إليه.

أمّـا التخصـيص المقصـود فهـو اسـتعمال الأدوات المختصـة بالفعـل والاسـم، ففـي سـورة التكوير نـرى اسـتثمار هـذه التقنيـة حينمـا يقـول: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ (التكوير/١-١٤). تتصدّر هذه الآيات بالمؤشر الإسمي "إذا" وهو التخصيص الفعلي؛ لأنّ "إذا" ظرف زمان متضمن معنى الشرط ولا يدخل إلا الفعل، وقد تكرر اثنا عشر مرة ويعدّ حبلا متينا يشكل نسيجا متماسكا في النص. «والافتتاح بـ(إذا) افتتاح مشوّق؛ لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلّقا، ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب فيما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن» (ابن عاشور؛ ١٤٢٠: ج١٤٠/٣٠).وهنالك التوازي النحوي الرائع من نمط (إذا + نائب الفاعل + فعل المجهول) وتكرار هذا النمط من التوازي واستثمار الحروف الانفجارية في بداية الآيات والحرف تاء المهموسة الساكنة في نهايات الآيات استطاع كلها أن يوحي بالفضاء الموحشة التي تملأ القلب رعبا وتزيد الموقف رهبة وتهويلا ويشد من لفتة الانتباه المخاطب وردود الفعل الإيجابية المؤدية إلى طغيان الرعب والاضطراب والقلق. ولا ننسى دور الأفعال الماضوية في هذه الوحدة التي تشير إلى حتمية هذه الأحداث ووقوعها عند قيام الساعة وبها تتضافر الحلقات الزمانية تضافرا وطيدا من الزمن الصرفي والزمن النحوي المتواجد في الكينون الفعلي.

والتقابل المعجمي اللغوي في هذه الوحدة يتمظهر في التقابل بين الشمس والنجوم والسماء والجبال والبحار بحيث يشكّل نوعا من الوحدة اللغوية، والتضاد بين الجحيم والجنة

والترادف الخفي بين كوّرت وانكدرت كلها ساعدت على نصية النص. إلا أنّ هذه التقابلات تخرج عن دائرة التقابلات المعجمية، ولن يجد الناظر في كتب اللغة فعل كوّرت يقابله انكدرت بل هذه تقابلات تداولية نشأت عن فضاء النص وسياقه.

والتلازم الموجود بين الصلة والموصول واستعمال الموصول العام "ما" في «علمت نفس ما أحضرت» قد قام بوظيفة ثنائية: الأولى تحقق التماسك عبر الوحدات السابقة باللاحقة، إذ يشير لفظ "ما" إلى ما عمل الانسان من الخير والشر في الحياة الدنيا. والثانية هي المفعولٌ به لفعل علمت وتسدّ ما يحتاج اليه الفعل، ومن جهة أخرى تلازم غير منفصل بين ما الموصول وصلته "أحضرت"، وثمة الإحالة الضميري التي تحيل إلى السابق وهو ضمير "هي" المستتر الذي يحيل إلى اسم الموصول إحالة قبلية وبهذا تشكّل بؤرة نصية والموصول هو عروة التي تربط بين مفاصل النص.

والبؤرة الرئيسية في السورة هي تكوير الشمس، إذ كل الوقائع الأخرى تُسَبّب من أجله، وتكوير الشمس يؤدي إلى انكدار النجوم. والإسناد النصي بين الفعل(المسند) ونائب الفاعل (المسند إليه) واستخدام أدوات التعليق مثل الجار والمجرور والتكرار المكثف باستعمال إذا وفعل المجهول كلها تتكاتف لإنشاء النص ويساعد القارئ في فهمه. ولا ننسى إنشاء نوعا من التماسك النحوي المتخذ من تكرار الزمن الصرفي للأفعال في هذه الوحدة، إذ تكرار الأفعال الماضوية يسبّب إلى تطابقا زمنيا بين الآيات، والفعل الماضي يدل على حتمية الوقوع لهذا الحدث العظيم، وتكرار الزمن النحوي في هذه الآيات ليس ترادفات معجمية بل هي ترادفات تداولية ليتجلّى مقصدية الآيات التي توجّهت السورة إليها وهذه الأمور تنظّم حقلا دلاليا من الزمن النحوي لا الزمن الصرفي وتزيل شوائب المعاني المقصودة لا المعاني السطحية المرتكزة على المبنى.

تطرّق البحث إلى التلازم المدمج، فالتركيب الوصفي «رسولٍ كريمٍ» يمتدّ في ساحة النص امتدادا انتشارياً وتوالي النعوت يخلق هيكلا ضخما بغية إيصال المتلقي إلى المعرفة الحقيقية بالنبي، فقد نعتها القرآن بصفات جعلها المتكلم حلقات تعلّق بعضها ببعض «رسولٍ كريمٍ ذي قوّة مكين مطاع أمين» فجاءت هذه الأوصاف مناسبة وسياق الحال، لأنّ سياق الآيات يتطلب شخص أمين لإبلاغ آيات الوحي ومطاع لأوامر الله. حيث تشير السورة: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكنَّسِ، وَاللَّيلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ، وَمَا صَاحِبُكمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ، وَمَا هُوَ**

عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (التكوير/١٥-٢٥). وللصورة البيانية والفنية في هذه الآيات أثر واضح في شد انتباه القارئ؛ إذ يرفع عنه الملل حينما شبّه الصبح بإنسان يتنفس، وهذه الاستعارة يزيد من بلاغة النص ورغبة القارئ في استمرارية الآيات. والاختصاص الإسمي "إنّ" ينصب الاسم ويرفع الخبر ويساعد على ترابط النص في البنية السطحية للنص، والمقام هو مقام الإنكار من قبل المنكرين لرسول الله ووحي المنزل إليه ولهذا أكّد الآية با لمؤشر الإسمي "إنّ" لرفع الشك وإزالة الإنكار وبهذا استمرت عملية التواصل عند المتلقي ويصله إلى بغية البنية الدلالية للنص. والاختصاص الفعلي يستمر في هذه الوحدة بفعل "أُقسِمُ" ويمتدّ هذا القسم عبر الوحدة الخطي للآيات ويشارك في رفع الإنكار من الجاحدين الوحي وبهذا يترابط البنية السطحية للنص مع البنية الدلالية وتشكل هذه الحالة عنصر انتباه المتلقي إلى ما وراء البنية السطحية إلى السياق الدلالي الداخلي.

وللتعليق أثر جليٌّ في تلاصق أجزاء النص، في النص المتجلّي تقدّم الاتساق الدلالي على الشكلي، وذلك عن طريق الترتيب التسلسلي، فقد استطاع القرآن بهذا الترتيب التدرجي أن يُقدّم صورة واضحة عن الرسول والكتاب المنزل؛ إذ ليس النبي مجنوناً وليس بخيلاً على الناس وقد شاهد ملك الوحي وليست هذه الآيات من لدن شيطان، فهذا التنظيم النصّيّ المتعالق المترتب بعضه على بعض، يرسم صورة واضحة منسجمة في ذهن المتلقي. ومن جهة أخرى نشاهد التغيير في هذه الوحدة من سابقها؛ لأنّ الوحدة السابقة أشارت إلى أحداث يوم الفزع الأكبر، أمّا هذه الوحدة فتشير إلى الوحي ومرسله ولهذا نرى الفواصل القرآنية ليست مختوما بتاء المهموسة. ونستنتج من استخدام حروف المدّ في حرف الفاصلة، امتداد الوحي امتدادا زمنيا يستغرق ثلاثة وعشرين سنة.

من التقنيات الجادة في دائرة تماسك النص هو التخصيص الفعلي، ففي سورة القيامة يبدأ الله كلامه بالقسم قائلاً: **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾** (القيامة/١-٥). فالمؤشر الفعلي "لن" يصبح نقطة انطلاق التخصيص الفعلي، وهو أداة النفي التأبيدي الذي يناسب سياق الآيات؛ لأنّ النص يتحدّث عن قيام الساعة ومن القسم المذكور نفهم أن وقوعه حتمي لا محالة؛ ثمّ يشير إلى الإنسان المنكر لهذا الحدث ولهذا يناسب بأن يذكر لن. وافتتاح السورة بالقسم مؤذن بأن ما سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف له نفس

السامع وكون القسم بيوم القيامة براعة استهلال لأن غرض السورة وصف بيوم القيامة» (ابن عاشور؛ ١٤٢٠: ج٢٩/٣٣٧). وتكرار القسم وتقابل ضمائر التكلم والخطاب في النص والإحالة الضمائري تحتك بالتخصيص الفعلي وسائر آليات التماسك لتنشر مفهوم قدرة الله على خلق الإنسان وبعثه.

واللعب الضمائري من أهم التقنيات التي تساعد على خلق النص ومنها قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**﴾ (القيامة/١٦-٢٥). فضمائر الغيبة (هـ) في (به، جمعه، قرآنه، قرأناه، قرآنه، بيانه) يحيل إلى القرآن وهو إحالة خارجية يفهم من السياق، وهذا اللعب الضمائري والتغيير في صيغة الضمائر يشد انتباه القارئ ويرفع عنه الملل. يتحقّق التقابل في هذه الوحدة عبر المؤشرين الاسميين "العاجلة" و"الآخرة " تقابلا يظهر على البنية الشكلية، إلا أنّ هذا التقابل يزول عبر سيطرة المؤشر الفعلي "تحبون" و"تذرون" ليخلق تقابلا معنوياً على صعيد البنية التحتية اللنص. و«سوغ الابتداء بالنكرة في قوله ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾ أنها أُريدَ بها التفصيل والتقسيم لمقابلته بقوله ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**﴾ وأمّا الوجوه الباسرة فنوع ثان من وجوه الناس يومئذ هي وجوه أهل الشقاء. وأعيد لفظ «يومئذ» تأكيدا للاهتمام بالتذكير بذلك اليوم» (ابن عاشور؛ ١٤٢٠: ج٢٩/٣٥٦). والتوازي النحوي بين الآيتين بنمط (الفعل + الفاعل + المفعول) تساعد على خلق هندسة بديعة من الكلام بحيث يخلق وثبة عاطفية في نفسية المتلقي.

ولإسناد النصي دور فعال في تحقيق تماسك النص ونرى في هذه الفقرة من الآيات نوعا من التلازم الإسنادي بين المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل) بحيث يفتقر المسند إلى المسند إليه لتقدمه الوجودي على المسند. والإسناد هو علاقة ترابط وتفاعل بين طرفين، ويؤدي بدوره إلى إكساب الكلمات الإعراب، وللإحالة الإعرابية دور بارز في تنشيط النص وفاعليته، منها قوله: «تحبون العاجلةَ» حيث يحيل لفظ العاجلة إلى السابق لأن الجملة على ترتيبها الأصلي والرفع يقدم النصب، وإذا كان الجملة على هذا الترتيب فيقدّم الفعل والمرفوع على المنصوب وفي هذه الحالة يحيل النصب على السابق ويتم المعنى ويقبض المتلقي مقصدية النص وما فيه من ظلال دلالية معتمدا على هذه الروابط.

وهنا تقابل تنظيري في قوله: ﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ**

﴿يَتَمَطَّى﴾ (القيامة: ٣١-٣٣)؛ لأن الباحث في المعاجم العربية لا يجد ترادفا بين "كذّب" و"تولّى" ولكن هذا التقابل والترادف نشأ عن فضاء النص ونجم عن الإيحاءات التي يشعّ به هذا الخطاب، فهذه الدلالات دلالات نصية تبتعد عن المعاني اللغوية المعهودة في المعاجم. وهذه التقابلات لا تسبّب انفكاك النص بل هي تخلق فضاء دلاليا تجتمع فيه جميع العناصر النصية لتبيّن معنى واحدا وهو حالة الكافرين. ولا ينحصر التقابل في هذه السورة في التقابل اللغوي، بل ثمة تقابل دلاليّ مقارن حيث يتمّ التقابل فيه عبر مقارنة مشهدين يتجلّى في مشهد الذين وجوههم ناضرة والذين وجوههم باسرة، وتتابع ذلك بتفاصيل جميلة، يمنحان النص تماسكا أسلوبيا رائعا يستطيع القارئ من خلاله أن يسبح في المحيط النصي ويصيد الدرر الكامنة فيه.

واستعمال العطف وتكرار الواو ومجيئ الفاء وثمّ يخلق فضاء زمنيا ينتشر على سطح النص ويتولد منه أجواء خاصة مثل قوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (القيامة: ٣٧-٤٠). هذا التنويع بين الواو والفاء وثمّ يتضمّن تراوحا بين الزمن واللازمن؛ إذ الواو تدل على الترتيب من دون الزمن وهو اللا زمنية، أمّا الفاء فتضمّن بالزمنية المتوالية وثمّ يتضمّن بالزمنية غير المتتالية. وللفاء وثمّ دور فاعل في خلق المعنى، لأنهما يرسمان حلقة يلتحق بها الفضاء الخارج عن النص بالفضاء المتواجدة في داخل النص.« وعطف فعل (كان علقة) بحرف (ثمّ) للدلالة على التراخي الرتبي فإنّ كونه علقة أعجب من كونه نطفة لأنه صار علقة بعد أن كان ماءً، ولما كان تكوينه علقة هو مبدأ خلق الجسم عطف عليه (فخلق) بالفاء، لأن العلقة يعقبها أن تصير مضغة إلى أن يتم خلق الجسد وتنفخ فيه الروح» (ابن عاشور، ١٤٢٠: ج٣٦٨/٢٩) . ونشاهد في نهاية السورة نوعا من الرجوع إلى بدايتها ويسمّى ردّ العجز إلى الصدر؛ إذ في بداية السورة أشار إلى قدرة الله على تسوية البنان وخلق الإنسان وفي نهاية السورة يكرر هذه الفكرة، فكرة إحياء الموتى ويسبب هذا التكرار إعادة ادعاء بعث الإنسان ويترسخ في ذهن المتلقي.

والتلازم المدمج بين الصلة والموصول فيستطيع أن يسجل لنفسه حضورا قاتما في سورة المعارج حيث قال الله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ

مَأْمُونٍ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج/٢٣-٣٤). إذ كلها يرجع إلى الاسم الأول "المصلين" الذي هو محور النص وقد حقق هذا للنص تماسكا قويا بسبب رجوعها كلها إلى مذكور واحد هو عباد الرحمن. من خلال هذا النمط يتضح لنا أنّ إحالة الاسم الموصول إحالة قبليّة على المحال عليه وهو (المصلين)؛ وعلى نحو ما سبق، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة وكأنها جاءت تعويضا عمّا تحيل إليه وهي ايضا تقوم بالربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطا مفهومياً بين ما قبل «الذين» وما بعده. و«إعادة اسم الموصول مع الصّلات المعطوفة على قوله ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ لمزيد العناية بأصحاب تلك الصّلات» (ابن عاشور؛ ١٤٢٠: ١٧٢/٢٩). ولا ننسى ترابط اول هذه الفقرة بآخرها؛ إذ تبدأ هذه الفقرة بوصف المؤمنين إلى الدوامّ في صلاتهم وتختم بحفاظهم على الصلاة و«قد حصل بين أخرى هذه الصلات وبين أولاها محسن رد العجز على الصدر» (ابن عاشور، ١٤٢٠: ج١٧٥/٢٩).

واللعب الضمائري وإحالته يخلق هندسة بديعة من الكلام بحيث يشكل بؤرة مركزية في النص يُسبّب تماسك النص وسهولة فهمه للمتلقي، منها قوله تعالى: ﴿**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ**﴾ (المعارج/١١-١٤). حيث يرجع ضمائر (هـ) في "ببنيه"، "صاحبته"، "أخيه"، "فصيلته"، "تُؤْوِيهِ" و"يُنجيه" إلى المجرم السابق الذكر بحيث يتلاحم النص ويشكل وحدة واحدة؛ ويعود الضمير على أقرب المذكور متطابقا معه من منطلق كونه أقرب مذكورٍ صالحٍ لغة وعقلاً، فكلّما اقتربت المسافة بين عنصر الإحالة والمحال عليه كان فهمها ممكناً. من هنا يشير علماء اللغة النصيون بضرورة ألّا نترك مسافة كبيرة بين اللفظ المحيل والمحال اليه إذ يمكن أن يسبّب ذلك ارهاقا للمتلقي بدلاً من سهولة الربط. ولا نبتعد عن النظر المؤشر الفعلي (يبَصَّرُونَهُمْ) فهو في موقع الاستئناف البياني لدفع الاحتمال أن يقع في نفس السامع أنّ الأحمّاء لا يرى بعضهم بعضا يومئذ لأن كل أحد في شاغل، فأجيب بأنهم يكشف لهم عنهم ليروا ما فيه من العذاب. «ويجوز أن تكون جملة (يبَصَّرُونَهُمْ) في موضع الحال، أي لا يسأل حميم حميما في حال كل حميم يبصر حميمه. والضميران راجعان إلى "حميم" المرفوع وإلى

"حميما" المنصوب، أي يبصّر كل حميم حميمه فجمع الضميران نظرا إلى عموم "حميمٌ" و"حميما" في سياق النفي» (ابن عاشور، ١٤٢٠: ج٢٩/١٦٠).

استنادا على ما مضى يتبيّن أنّ حقيقة الأحداث قبل القيامة كتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغير ذلك من الآيات «تتمثّل في لغة حافلة بالعمليات المادية؛ لأنّ أشراط الساعة وحوادثها تقتضي أن تكون الأفعال مادية وهذا الاستعمال يساعد الناس على أن يجسموا الأحداث بسهولة ويتأثّرون بها» (عزيزخاني وآخرون، ١٤٤٠: ٥٨).

وفي ختام البحث نستطيع أن نقول إنّ القرآن الكريم قد استخدم كل هذه التقنيات لتخلق نصا مترابطا للقارئ وهو كالبحر الزاخر بالمجوهرات الكلامية والبديعية، يستطيع القارئ أن يغوص فيه ليكتشف درر الكلام منه، وبذلك يعدّ القرآن نصا موحدا، وهذه التقنيات تضع يدا بيدٍ وتتكاتف جنبا على جنبٍ لتكوين نص متماسك ما بعده تماسك؛ لأنّ الزيادة في المبنى تزيد في قوة المعنى.

النتائج

يستخلص البحث إلى نتائج أهمّها هي:

- تقنيات وأدوات التماسك النحوي كثيره لا يحدّها حدّ؛ بل هي آليات تنتشر على سطح النص القرآني عامّة والسور المرتبطة بالقيامة خاصّة ويجمع بين مفاصل النص، منها التقابل الدلالي الذي لا نرى مثيلا لها في إيّ اللغة، إذ له حضور قاتم في سور النبأ والمعارج والواقعة؛ لأن التقابل بين المنكرين والمؤمنين بذلك اليوم يخلق فضاء مميّزة ويهيّئ القارئ لاصطياد الدرر الكامنة فيه، واستعمال الأفعال الدالة على الأمور المادية والحسية جعل فهم هذه السور قريب المنال للقارئ.
- التلازم المدمّج بين النعت والمنعوت والعامل والمعمول والصلة والموصول استطاع أن يسجّل لنفسه حضوراً بارزاً في هذه السور ويسبّب إلى تماسك النص القرآني فيها.
- تكرار الزمن الصيغي المنبعث من تكرار الأفعال الماضوية يحدث نوعا من الترابط الزمني بين الآيات ويجعل الجمل المكوّنة للنص في خطّ أفقيّ مترابط ويلزم القاري على مواصلة عملية القراءة ويفتح الزينة للاستماع ويجعله منفعلا عميقا للنص القرآني فيقبل إليه.

- إنّ اللعب الضمائري والموصولي قد أسهما إسهاما كبيرا في إرجاع القارئ إلى ما سبق من الأحداث في النص ويستطيعان أن يشكلا بؤرة مركزية في النص، واللعب الضمائري يمثّل على هندسة الكلام عبر صنعة الالتفات ويسبّب تماسكا بديعا في المحيط النصي.
- انتشرت أدوات التخصيص الإسمي والفعلي على خشبة النص وتتجلّى في استعمال حروف الناصبة وفعل كانَ وحروف المشبهة بالفعل وتصنع هذه الأدوات هيكلا ضخما يتّكئ النص عليها. والتكرار المكثّف للأدوات العاطفة خاصة الواو والفاء وثمّ يتولّد خيطا طويلا يتصل الجمل والألفاظ بعضها البعض، وتعدّ بمثابة عرى النص التي ترتبط بين مفاصل النص. ومن تكرار هذه الأدوات يتولّد نوعا من اللا زمنية البحتة التي تناسب ذلك اليوم، إذ ذلك اليوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهناك نوع من اللا زمنية فيه.
- للإعراب دورٌ فعالٌ في تنشيط النص، إذ به تفهم معنى الجمل، وإذا كان الجملة على ترتيبها الأصلي فالإعراب يحيل إلى السابق إحالة قبلية وإذا كان الجملة فيها التقديم والتأخير فنشاهد في النص تارة الإحالة السابقة وتارة الإحالة اللاحقة.
- إن هذه السور قد استغلت من التعليق بالجار والمجرور والظرف لملأ الفراغ بين الجمل والنص، وشاهدنا هذا التقنية في بداية سورة النبأ كيف تمهّدت أرضية مناسبة للولوج في موضوع السورة بجانب أداة الاستفهام المستخدمة في صدر السورة. والإسناد النُّصّي يقوم بدور فعال في ترابط أجزاء الكلام وتنشيط النص واتّكاء بعض الأجزاء على البعض ويؤدي إلى إكساب الكلمات الإعراب ومن ثمَّ فهم النص؛ إذ الإعراب هو الإبانة عن الكلام.

في ضوء اللسانيات البنيوية تعتبر السور المرتبطة بالقيامة نصّاً واحداً موحّداً من غير انفكاك والغرض من هذه السور هو إثبات وقوع الحدث العظيم الذي لا تشوبه شائبة، وخلق التهيؤ النفسي لاهتداء الناس إلى الإيمان بذلك اليوم؛ لأنّها هي التي تقوم عليها بناء العقيدة بعد الإيمان بوحدانية الله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إبراهيم الفقي، صبحي (٢٠٠٠م). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية. القاهرة: دار القباوة للطباعة والنشر.

٢. ابن عاشور، محمد طاهر (١٤٢٠هـ). التحرير والتنوير. مؤسسة التاريخ العربي . بيروت، لبنان.

٣. ابن هشام، عبدالله الأنصاري (١٣٨٧ش). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. الطبعة الثانية. ايران. تهران. الناشر: مؤسسة الصادق .المطبعة شريعت.

٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (٢٠٠١م). شرح المفصل. تحقيق: إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. بخولة، بن الدين (١٩٩٦م). الاسهامات النصّية في التراث العربي. أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه، علوم في اللسانيات النصية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة وهران أحمد بن بلة.

٦. الجرجاني، أبي بكر عبدالقاهر (١٩٨٢م). المقتصد في شرح الإيضاح؛ تحقيق: كاظم بحر المرجان، بغداد: دار الرشيد.

٧. الجرجاني، عبدالقاهر (٢٠٠٤م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٨. الحريري، أبوالقاسم (٢٠٠٢م). شرح ملحمة الإعراب. تحقيق: أحمد محمد قاسم، بيروت: دار الكلم الطيب.

٩. حسّان، تمام (١٩٩٨م). الأصول دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

١٠. خطابي، محمد (٢٠٠٦م). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ط٢، المغرب، لبنان: المركز الثقافي العربي.

١١. دي بوجراند، روبرت (١٩٩٨م). النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب.

١٢. الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي (٢٠٠٠م). شرح الرضي على الكافية. تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر جامعة قار يونس.

١٣. الزركشي، بدر الدين محمود بن عبدالله (١٩٥٧م). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمود أبو الفضل، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

١٤. الزناد، الأزهر (١٩٩٣م). نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٥. البطليوسي، عبدالله بن محمد (٢٠٠٨م). كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل. تحقيق: سعيد عبدالكريم سعودي، بغداد: دار الرشيد للنشر.

١٦. عبد المجيد، جميل (١٩٩٨م). البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب.

١٧. عزيزخاني، مريم وآخرون (١٤٤٠هـ). «معالجة اللسانيات الوظيفية في آيات متحلية بأشراط الساعة (الجزء التاسع والعشرون والثلاثون من القرآن الكريم نموذجا)». مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٥، العدد١، صص٤٧-٦٨.

١٨. العسكري، أبو هلال (١٩٧٩م). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، بيروت: دار الكتب العالمية.

١٩. المتوكل، أحمد (٢٠١٠م). الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الرباط: دار الأمان.

٢٠. المخزومي، مهدي (١٩٦٤م). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: المكتبة العصرية.

٢١. نحلة، محمود (١٩٨٨م). مدخل إلى دراسة الجملة العربية. بيروت. دار النهضة العربية.

Sources

The holy Qur'an.

1. Ibrahim Al-Feki, Sobhi (2000). Textual linguistics between theory and practice is an applied study on the Meccan suras. First edition. Cairo: Dar Al Qabawa for Printing and Publishing
2. Ibn Ashour, Muhammad Tahir (1420). Liberation and Enlightenment. Arab History Foundation. Beirut, Lebanon. First edition
3. Ibn Hisham, Abdullah Al-Ansari (1387 A.H.). Mughni al-Labib for books of Bedouins. Achieving Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid. Second Edition. Iran. Tehran. Publisher: Al-Sadiq Establishment, Shariat.
4. Ibn Yaish, Moafak al-Din Abu al-Baqi`, Yaish bin Ali (2001). Detailed explanation, (Edited by Emil Badi Yaqoub), (i1). Beirut: House of Scientific Books.
5. Bakhula, Bin Al-Din (1996). Textual contributions to the Arab heritage. PhD dissertation. Sciences in Textual Linguistics. The People's Democratic Republic of Algeria. University of Oran Ahmed Ben Bella.
6. Al-Jarjani, Abu Bakr Abdul-Qaher (1982), Al-Moqtid in Explaining Al-clarification.
7. Al-Jarjani, Abd al-Qaher (2004), Evidence of Miracles (Edited by Mahmoud Muhammad Shaker), 5thEdition. Cairo: Al-Khanji Library.

8. Al-Hariri, Abu Al-Qasim (2002). Explanation of the Epic of Al-Arrab. Edited by: Ahmad Muhammad Qasim, Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib.
9. Hassan, Tamam (1998). The Principles is an epistemological study of the linguistic thought of the Arabs. General Cultural Affairs House; Baghdad; I 1.
10. Khatabi, Muhammad (2006). Text linguistics is an introduction to discourse harmony, (ed. 2). Morocco, Lebanon: Arab Cultural Center.
11. De Boegrand, Robert (1998). Text, discourse and procedure. Translated by: Tamam Hassan, Cairo: The World of Books.
12. Al-Radhi, Muhammad ibn al-Hasan al-Astrabadi (2000). Explanation of satisfaction on the sufficient; Correction and Commentary: Yusef Hassan Omar, University of Qar Yunis.
13. Al-Zarkashi, Badr Al-Din Mahmoud bin Abdullah (1957). Evidence in the sciences of the Qur'an; Tv: Mahmoud Abu Al-Fadl, House of Revival of Arab Books, Cairo.
14. Al-Zinnad, Al-Azhar (1993). Text Texture A search for what the spoken text contains, (D1). Beirut: Arab Cultural Center.
15. Al-Sayed Al-Battlisi, Abu Muhammed Abdullah bin Muhammad (2008), The Book of Al-Hallal in Fixing the Defect from the Book of the Camel.
16. Abdul Majeed, Jamil (1998). The Badi 'between Arabic Rhetoric and Textual Linguistics, The Egyptian General Book Authority, Cairo.
17. Azizkhani, Maryam and others (1440). "Treatment of functional linguistics in verses that describe the terms of the hour (the twenty-ninth and thirty-ninth part of the Holy Qur'an as an example)". Arabic Language and Literature, 15(1), pp. 47-68.
18. Al-Askari, Abu Hilal (1979). The Book of the Two Industries, Writing and Poetry. 2nd Ed., edited by: Moufid Qumaiha, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alamiah.
19. Al-Mutawakel, Ahmad (2010). Discourse and Characteristics of the Arabic Language: A Study of Function, Structure and Style, (i 1). Rabat: Dar Al-Aman.
20. Makhzoumi, Mahdi (1964). In Arabic Grammar, Criticism and Guidance. Beirut: The Modern Library.
21. Nahle, Mahmoud (1988). Introduction to the study of the Arabic sentence. Beirut: Arab Renaissance House.